

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

رياض الصالحين - الدرس : 015 - باب المجاهدة 1 : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب .....

09-10-1988

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... مع الحديث النبوي الشريف، حديث اليوم من باب المجاهدة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ:

**((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحَبَّهُتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))**

(رواه البخاري)

يا أيها الإخوة المؤمنون... الولي هو القريب، ومتى يقرب الإنسان من الله؟ في حالة واحدة: إذا أطاعه، فالولاية مبذولة لكل إنسان، سيدنا عمر رضي الله عنه حينما عين سيدنا سعد بن أبي وقاص قائداً في معركة القادسية قال: يا سعد لا يغررك أنه قد قيل: خال رسول الله، فالخلق كلهم عند الله سواسية، ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له، فإذا أطعت الله عز وجل تكون وليه..

**﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) ﴾**

(سورة يونس)

الولاية مبذولة لكل إنسان، أطعه تقترب منه، فإذا اقتربت منه كنت وليه، لذلك سيدنا الجنيد هذا العارف بالله قال: ليس الولي من يمشي على وجه الماء، وليس الولي من يطير في الهواء، ولكن الولي كل الولي هو الذي تجده عند الحرام والحلال، يعني أن يجده حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك، هذه الولاية، الولاية مبذولة لكل إنسان، الناس سواسية كأسنان المشط، فهذه بعض المعتقدات الزائفة الزائغة: حتى الله يأذن، حتى تأتي الولاية، حتى الله يسمح لنا، الولاية مبذولة، أطعه تكن وليه..

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (69)

( سورة النساء )

لا أَعذار أبدأ، أطمع تكن وليه، فإذا كنت وليه تولّك بالحفظ، والتوفيق، وكنت برعايته، وتجلّى على قلبك، القضية لو يقول الواحد: أخي الله ما كتب لي، لم يأت الإذن بعد، الله في خلقه شؤون، حتى يهدي الله قلبي، هذه الولاية لأهل الخواص، ليس هناك خواص، ولا عوام، كلنا في فضل الله سواء، كلنا على قدر المساواة في طريق الإيمان، فلذلك معنى الولي بالضبط: هو الإنسان القريب من الله عزّ وجلّ، والقرب ثمنه الطاعة..

**تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمرى في المقال بديع**

**لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع**

\* \* \*

فهذا الولي، هذا الطائع لله عزّ وجلّ الذي هو عند الأمر والنهي، هذا الذي يطيع الله عزّ وجلّ في كل شؤونه، وفي كل أحواله، هذا إذا عاديته، فأنت في خطرٍ كبير، لأنك إذا عاديته لا تعادي ذاته، لا تعادي شخصه، بل تعادي مهمته، تعادي وظيفته، تعادي مقامه، إذا أنت تعادي الحق، إذا أنت تريد أن تطفئ نور الله عزّ وجلّ، إذا عاديت الولي فأنت ضدّ الحق، أنت وضعت نفسك في خندقٍ معادٍ لخندق الإيمان، لذلك:

**((من عادى لي ولياً...))**

عادى أي ناصبه العدا، يعني سفّه آراءه، استهزأ به، كاد له، انتمر عليه، دعا الناس إلى أن ينصرفوا عنه، اختلق أخباراً كاذبةً حوله، افتري عليه، يعني هذا كله من أنواع العدا، ف

**((من عاد لي ولياً...))**

من هو الولي؟ ليس الذي يدعي الولاية، بل هو الولي الحقيقي الطائع لله عزّ وجلّ في كل شؤونه، أو الذي يدعو إليه.

**((من عاد لي ولياً فقد آذنته - معنى آذنته أي أعلمته - بالحرب...))**

وإذا حارب الله عزّ وجلّ إنساناً فقد انتهى، تأتي الأمور على خلاف ما يريد، من سيئ إلى أسوأ، يذيقه الله العذاب صُعداً.

فذلك:

**((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترضت عليه...))**

يعني جميع أنواع النوافل ؛ نوافل العبادات، نوافل المعاملات، نوافل الأعمال الصالحة، جميع هذه النوافل ليست مقبولة ما لم تؤدَّ الفرائض، إنسان لا يصلي لكنه عمراً جامعاً، لا، لا بد من أن يصلي أولاً، التقرب إلى الله لا يكون بالإحسان من دون صلاة، هذا الذي يدع حقوق الآخرين ؛ له أولاد، له زوجة، له أقارب، له أب، له أم، قبل أن تتقرب إلى الله بالنوافل، قبل أن تحج الحجة الخامسة والعشرين ارفع حقوق أولادك، لهم عليك حق، لذلك جميع أنواع النوافل ؛ نوافل العبادات، نوافل المعاملات، نوافل الذكر، هذه كلها ليست مقبولة ما لم تؤدَّ العبادات، الفرائض.

لهذا يقول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:

**((وما تقرب عبدي إلي بشيءٍ أحب إلي مما افترضته عليه...))**

أد الصلوات الخمس كما أراد الله أن تؤدَّى، أحسن الوضوء، أسبغ الوضوء، قف كما أراد النبي عليه الصلاة والسلام، وكما علمنا، اطمئن راکعاً، اطمئن ساجداً اخشع في صلاتك، التفت إلى الله عزَّ وجل، وبعدها صم شهر رمضان كما أراد الله عزَّ وجل، أد العبادات، وأد ما عليك من حقوق، وبعدها ابحث عن النوافل.

**((وما تقرب عبدي إلي بشيءٍ أحب إلي مما افترضته عليه...))**

يعني أداء الصلوات، أداء الحقوق إلى أربابها، بر الوالدين، وجميع الواجبات التي أمرنا الله بها، بعد أن تؤدي كل العبادات الله عزَّ وجل أمرنا بغض البصر، فقبل أن تغض البصر، الأعمال الصالحة غير مقبولة، لأنك مصر على شيء، على شهوة، فلا بد من أن تأتمر بما أمر الله، لا بد من أن تنتهي عما عنه نهى الله، وبعدها تفعل النوافل.

قال:

**((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل...))**

الآن جاء دور النوافل، أنت تقربت إلى الله بالفرائض ؛ الصلوات الخمس، الصيام، الحج، الزكاة، حقوق الوالدين، حقوق الزوجة، حقوق الأولاد، حقوق الجوار، حقوق مَنْ تعاملهم مَمَّن هم دونك، ممن هم فوقك، أدبت الحقوق، حقوق المسلمين، حقوق غير المسلمين، أدبت كل شيء الآن ما أروع النوافل،

**((... وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل...))**

يصلي قيام الليل، الآن قيام الليل بعد الصلوات الخمس شيءٌ رائع، يصلي صلاة الأوابين، يصلي صلاة الضحى، يدفع زكاة ماله، ويزيد عليها، يدفع أكثر من الزكاة، يساهم في بناء المساجد، يساهم في إقامة دور العجزة، يساعد الأرمال، يساعد المساكين، يتعطف على الناس، يعين ضعيفهم، يعطي فقيرهم، رائع جداً أن تقوم بالنوافل بعد أداء الفرائض.

قال:

**(( ... حتى أحبه ))**

يعني ما في مرتبة على وجه الأرض تفوق أن يحبك الله عزَّ وجلَّ،

**((حتى أحبه ))**

قال:

**((فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي**

**يمشي بها ))**

هذه الكلمات إشارات إلى نصر الله عزَّ وجلَّ، يعني يسمعك الحق، ويسمعك الذي ينفحك، ويسمعك ما أنت بحاجة إليه، وترى بنور الله حقائق الأشياء، ترى بنور الله، تسمع بنور الله، تتحرك بنور الله، تعادي بنور الله، تواصل بنور الله، تقطع بنور الله، تصل بنور الله، تعطي بنور الله، تمنع بنور الله، تبطش بنور الله، تنتقل من مكان إلى مكان بنور الله، هذه معنى أنه كنت سمعه، وكنت بصره، وكنت يده، معناها أن كل حركاتك وسكناتك في تأييد، وفي تسديد، وفي هدى، وفي رشاد، وفي توفيق، وفي توجيه نحو ما ينفحك.

سبحانك يا رب، أهل المعصية والفجور تأنيهم وساوس، كما يقول النبي عليه الصلاة والسلام في بعض أدعيته:

**(( اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم ))**

أحياناً الإنسان يفكر، يفكر، يدرس، يدرس، يدرس، يحسب، يحسب، يحسب فتأتي فوق رأسه بعدها، هذا جعل الله تدميره في تدبيره، أما المؤمن الله عزَّ وجلَّ، ما دام المؤمن مع الله سبحانه وتعالى فهو بصره، وهو سمعه، وهو يده، يعني يرى بنور الله، يسمع بنور الله، يتحرك بنور الله، يعطي، يمنع، يصل، يقطع، كل هذا بنور الله، طبعاً لا ينبغي أن نفهم هذا الكلام على ظاهره، الله سبحانه وتعالى ليس هو يد الإنسان، هو في عليائه، لكن إذا قال: كنت يده يعني أعتته، سددت عمله، وفقته، إذا قال: كنت بصره يعني أريته الحق، رأى بنوري، إذا قال: كنت سمعه يعني استمع إلى الحق بنوري، فهذه الكلمات معناها أن الله سبحانه وتعالى يؤيده، ويحفظه، وينصره، وهو يتحرك بنور الله عزَّ وجلَّ.

**((ولئن سألتني لأعطينه... ))**

صار سؤاله منطقياً، لأنه عرف الحق، صار سؤاله متعلقاً بما هو خير، لا يسأل: يا رب، يا عزيز، ألف ليرة إنكليز، هذا ليس بسؤال، أسأله السلامة، أسأله الرضى، أسأله التوفيق: اللهم وفقنا لمحابك من الأعمال، أسأله الهداية، أسأله أن يتولى الله معالجتك، أسأله السداد، أسأله عمل صالح، أسأله أن تحب من يحب، فالإنسان عندما يعرف الله عزَّ وجلَّ يعرف يسأله، فهل من المعقول إذا دخل رجل على ملك،

وقال له الملك: اسألني، يقول له: أريد ممحاة؟ معقول أن يطلب منه ممحاة؟ الملك يعطي أقل شيء بيتاً فخماً، ممحاة؟! أو أريد شفرة أرح أخى فيها، أهذا سؤال يسأل لملك؟ فإذا عرف الإنسان الله عز وجل يسأل، يسأل ربه عز وجل سؤال صحيح..

**((... كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لآعطينه))**

السؤال أنت كلما ارتقيت عند الله عز وجل صار لك عنده مكانة كبيرة..

**﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (55) ﴾**

( سورة القمر )

**((عبيد المؤمن أحب إلي من بعض ملائكتي))**

**﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96) ﴾**

( سورة مريم )

**﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾**

( سورة الحج: من آية " 38 " )

**﴿ فَاتَّكِبْ بِأَعْيُنِنَا ﴾**

( سورة الطور: من آية " 48 " )

**﴿ وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (4)   
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) ﴾**

( سورة الضحى )

عندما تكون مؤمناً، وتقرأ كتاب الله أحياناً تذوب ذوبان محبوباً لله عز وجل.

فهذا الحديث إذا أطاع الإنسان الله عز وجل صار وليه، الولاية مبذولة، ليس هناك أخذ معدلات، انتهت المقاعد، انتهت الشواغر، انتهى الملاك، الملاك لا يسمح، ليس هناك تعيينات، باب الولاية مفتوح على مصراعيه، والشروط شرط واحد، هو الطاعة لله عز وجل.

ومن عادى ولي الله فقد عادى دين الله، فقد عادى شرعه، فقد عادى الحق، لذلك الله سبحانه وتعالى يتولى محاربتة.

**((ولئن سألتني لآعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه...))**

يعني إذا الإنسان استعاذ بالله عزَّ وجل، الله عزَّ وجل يعيده، يَلْتَبِيهِ، لذلك إذا قال العبد: يا رب وهو راعٍ قال الله: لبيك، فإذا قال: لبيك وهو ساجد، قال الله تعالى: لبيك، فإذا قال: يا رب وهو عاصٍ قال الله عزَّ وجل: لبيك ثم لبيك ثم لبيك.

سبحان الله الإنسان كيف تمر الأيام والليالي، ولا يزال هناك جفوةً بينه وبين الله !!! بابه مفتوح، باب التوبة مفتوح، باب الصلة مفتوح، الله سبحانه وتعالى يسترضى.. "، صدقة السر تطفئ غضب الرب .."، "باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطأها"، الله عزَّ وجل يسترضى بالصدقة، يسترضى بالعمل الصالح، يسترضى بخدمة الخلق، فمتى الصلح مع الله، الصلحة بلمحة..

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ  
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

(سورة الزمر)

أعيد على أسمعكم مرة ثانية قراءة الحديث الشريف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قال:

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))

(رواه البخاري)

والله مقام عالي كثير، يعني المؤمن تأتيه إلهامات لمصلحته: يا عبد الله افعل كذا، اذهب من هذا الطريق، تعامل مع هذا الرجل، اشتر هذا البيت، اخطب هذه الفتاة، كل حياته سلسلة من التوفيقات، فإذا عصى الله عز وجل يخفق في زواجه، يخفق في عمله، يخفق في علاقته مع الآخرين، يقع في ورطات، يقع في مشكلات، يتهم بأشياء وهو منها بريء، يقع في أزمات، لذلك الإنسان بين أن يكون ولياً لله عزَّ وجل، وبين أن يكون ولياً للشيطان.

وفي درسٍ قادمٍ إن شاء الله نتابع شرح بعض الأحاديث الصحيحة.

\*\*\*\*\*

والآن، إلى سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه .

سيدنا عمر رضي الله عنه كان شجاعاً، عزيز النفس، فحينما أسلم قال: والله يا رسول الله لن نعبد الله سراً بعد هذا اليوم، فكان إسلام عمر فيه عزٌّ للمسلمين.

صلح الحديبية، هذا الصلح يرد في كتب السيرة، والحقيقة بنوده في ظاهرها فيها إجحافٌ لحق المسلمين، سيدنا عمر عزيز النفس، شهم، فرأى هذا الخليفة العظيم أن المزايا التي أعطها النبي عليه الصلاة والسلام لكفار قريش سخيةً وكثيرة، وهو يؤمن بضرورة مناجزتهم، ودخول مكة طوعاً أو كرهاً، وما داموا لا يريدون أن يجنحوا للسلم، ويحتكموا إلى الحق، وما دام الحق والباطل في معركة فلا بد للحق أن يستعلي بدل أن يهادن، ولا بد له أن يناجز بدل أن يساير، هكذا فهم عمر المسألة، وكوّن الرأي، ولم يكن للجهر به من مفر، وهكذا أقبل على النبي عليه الصلاة والسلام قبل أن يبدأ الكاتب في تحرير صحيفة المعاهدة، فقال:

- يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟  
- قال: بلى.

- قال: يا رسول الله، أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟  
- فقال عليه الصلاة والسلام: بلى.

- فقال سيدنا عمر: يا رسول الله، فعلامٌ نعطي الدنيا في ديننا؟! لماذا هذه الشروط المجحفة؟ لماذا هذه القيود؟ لماذا هذه المزايا السخية للكفار؟ فعلامٌ نعطي الدنيا في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟  
- فقال النبي عليه الصلاة والسلام: ابن الخطاب إني رسول الله. فهتم ماذا قال له؟ إني رسول الله، أي:

**﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) ﴾**

( سورة النجم )

ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً.

أنا سأقول لكم هذه الكلمة، وإن شاء الله مسؤول عنها حتى الموت والله الذي لا إله إلا هو زوال الكون أهون على الله من أن يضيع مؤمناً، تطيعه ويضيعك؟ تطيعه ويجعلك في آخر الركب؟! تطيعه وتندم على طاعته؟! ادع الله عزَّ وجل في صلاة الصبح بالدعاء المأثور دعاء القنوت وقل له: سبحانك إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، وهذه الأيام بيننا، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، يعني من رابع المستحيالات أن يذل المؤمن، وأن يعلي الكافر دائماً، للباطل جولةٌ ثم يضمحل، ولكن العاقبة للمتقين.

ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً، يعني ما اقتنع، فذهب لسيدنا الصديق قال:  
- يا أبا بكر ألسنا على الحق ؟

- قال: نعم.

- قال: أليسوا على الباطل ؟

- قال: نعم.

- قال: فلماذا إذاً نعطي الدنيا في ديننا، ونرجع، ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟

ويطمئننه سيدنا الصديق بأن الله لن يتخلى عن رسوله، وأن فتح الله قريب، معنى هذا أن سيدنا الصديق أقرب لرسول الله من سيدنا عمر، يعني فهم عليه.

- فقال سيدنا الصديق: يا عمر الزم حرزه.

يعني كن معه، استسلم له لأنه رسول الله، لأنه معصوم، لأنه يوحى إليه وليس هذا لغير رسول الله، كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذه القبة الخضراء، ما جاءنا عن رسول الله فعلى العين والرأس، وما جاءنا عن أصحابهم فعلى العين والرأس، وما جاءنا عن سواهم فهم رجال ونحن رجال، إنسان غير رسول الله لا يحق له أن يقول: اتبعوني بلا دليل، لا نتبع بلا دليل، "أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم"، هذا كلام سيدنا الصديق، إنسان غير رسول الله لا يحق له أن يقول: اتبعوني، بلا دليل، لا تتبع إلا بالدليل، إذا جاءك بالدليل من كتاب الله، وفسر العلماء كما فسرها علماء المسلمين أئمة التفسير، وجاء بالحديث الصحيح المتواتر، وفسره كما فسر علماء الحديث، أنت الآن عليك أن تتبعه، أنت إذا اتبعته لا تتبعه بل تتبع الله ورسوله فقط.

إذا دعاك إنسان بعد رسول الله إلى الله، جاء لك بآية، وفسرها كما فسرنا أئمة التفسير، أو جاء بحديث صحيح، وفسره كما فسر علماء التفسير، أنت الآن ملزم أن تطيعه، وأنت إذا أطعته لا تطيعه هو، بل تطيع الذي جاء به من كتاب الله ومن سنة رسوله، أما أطيعوني بلا دليل، لا تطيعه.

**﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾**

(سورة الحشر: من آية " 7 " )

لا مجال، أنت مأمور بنص كتاب الله أن تأخذ ما جاء به النبي، وأن تنتهي عما عنه نهاك، فلو كان في سلوك النبي ما هو خلاف الحق لكان الله قد أمرك بالباطل، ألم يقل لك: أطع رسولي، وانته عما عنه نهاك، معنى ذلك لو أن النبي غير معصوم كأن الله قد أمرك بالمعصية.

إذا ما ينطبق على النبي لا ينطبق على غيره، لا يحق لأحد أن يأخذ ميزات النبي عليه الصلاة والسلام، هو معصوم، ويوحى إليه، وقد أمرنا أن تطيعه في كل شيء، وأن ننتهي عما عنه نهاننا، وليس هذا لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما سوى النبي تعامل معه بالدليل، افعل كذا، أين الدليل؟ لا تفعل، أين الدليل؟

سيدنا عمر شعر بالمسؤولية بعد أن تولى أمر الناس، حتى إنه أراد أن يكون أول من يجوع إذا جاع قومه، وآخر من يشبع إذا شبعوا، عبارة دقيقة: أول من يجوع إذا جاعوا، وآخر من يشبع إذا شبعوا، كان

يخاطب نفسه فيقول: كيف يعنيني شأن الناس إذا لم يصبني ما يصيبهم ؟ يعني إذا دخل الأب مثلاً المطعم، وأكل حلويات، كل يومين أو ثلاثة يأكل أكلة حلو، وليس في البيت في حلويات، والدنيا شتاء، اشتها أن يأكلوا حلويات، هذا الأب ما انتبه لهذه الناحية لأنه شبعان.

حدثني شخص فقال لي: عنده اثنا عشر نفساً، يأتي بأوقية من اللحم - حالته المادية جيدة - يضعها في الطبخة، يدخل عند اللحم يأخذ أوقيتين ويأكلها، يشويها ويأكلها في مكان خفي، كيف يعينك أمر هذه الأسرة إن لم تشعر بما تشعر ؟ إن لم تجع كما تجوع ؟ إن لم تشته كما تشتهي ؟ فالأب إذا ما شعر بشعور أولاده، وبشعور زوجته، ليس مؤهلاً أن يكون أباً، فكان سيدنا عمر يقول: كيف يعنيني شأن الناس إذا لم يصبني ما يصيبهم ؟ فصار سيدنا عمر يلتزم أكل الزيت حين أصاب المسلمين أزمة شديدة في اللحم والسمن، ويدمن أهل الخطاب أكل الزيت حتى قرقرت أمعاءه، يقول لك: التوى قلبي كله زيت بزيت، فيضع كفه على بطنه ويقول له: قرقر أيها البطن أو لا تقرقر فوالله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين.

في رواية ثانية: لتمرن أيها البطن على الزيت مادام السمن يباع بالأواق، مادام السمن غالياً فكل الزيت. في عام الرمادة، وهذا كان عام مجاعة قاتلة في المدينة، أمر يوماً بنحر جذور - ناقة كبيرة ذبحت وتوزع لحمها على الفقراء من أهل المدينة - وقام المختصون بإنجاز هذه المهمة، بيد أنهم استبقوا لأمير المؤمنين أطيب أجزاء في الذبيحة، أطيب جزء في الذبيحة يقال إنه السنام، الشهباية مثلاً أطيب شيء، فتيلة مثلاً، فبالناقة أطيب شيء السنام، وعند الغذاء وجد سيدنا عمر أمامه على المائدة سنام الجزور وكبده، وهما أطيب ما فيه، فقال:

- من أين هذا ؟

- قيل: من الجذور الذي ذبح اليوم.

- فقال وهو يزيح المائدة بيده الأمانة: بخ بخ، بس الوالي أنا إذا أكلت أطيبيها، وأكل الناس كراديسها، يعني عظامها، فقال: أزحها من أمامي، وقال: يا أسلم ارفع هذه الجفنة، وأتني بالخبز والزيت، بخ بخ، بس الوالي أنا إذا أكلت أطيبيها، وأكل الناس كراديسها.

في مرة جاءه من أذربيجان رسول عامله، واسمه عتبة بن فرقد، فهذا الرسول وصل للمدينة في ساعة متأخرة من الليل، في المدينة كره أن يطرق باب أمير المؤمنين في هذه الساعة المتأخرة فتوجه إلى المسجد، وليس فيه إضاءة، فسمع صوتاً يناجي ربه، يقول هذا الصوت: يا رب أنا واقف بين يديك، هل أنت راضٍ عني ؟ هل قبلت توبتي فأهني نفسي، أم رددتها فأعزبها ؟ من هذا الشخص.

- فقال: من أنت يرحمك الله، من أنت ؟

- قال: أنا عمر، كره أن يطرق بيته ليلاً فإذا هو في المسجد.

- فقال: يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل؟!

- قال: إن نمت ليلتي كله أضعت نفسي أمام ربي، وإن نمت نهاري أضعف رعيتي.

فالننتيجة صلى معه، وأذن الفجر، وصلى الفجر، ودعوا بدعاء الفجر، وأخذته إلى البيت، وقال:

- يا أم كلثوم ماذا عندك من الطعام؟

- قالت: والله ما عندنا إلا خبزٌ وملح، هو خيرٌ: أتحب أن تأكل مع فقراء المسلمين أم أن تأكل في بيتي؟

قال: لا عندك في البيت، ليس هناك نسبة، بالبيت لا مع الفقراء؟! فقال: يا أم كلثوم ماذا عندك من الطعام؟ فقالت: والله ما عندنا إلا خبزٌ وملح؟ فقال:

- أحضريه لنا.

وأكل سيدنا عمر مع ضيفه الخبز والملح، إذا كان هناك واحد منا جميعاً من يأكل خبزاً وملحاً فأنا مسؤول، فقط خبز وملح؟ شرب الماء، وحمد الله على أنه أطعمه وسقاه وقال:

- ما الذي جاء بك إلينا؟ خير إن شاء الله؟

- قال: جئت لك بهذه الهدية.

فتحها فإذا حلوى من أنربيجان، فذاق منها لقمَةً فإذا لها طعمٌ طيب فقال:

- يا هذا أياكل عندكم عامة المسلمين هذا الطعام؟

- قال: لا، هذا طعام الخاصة، يعني الطبقة الغنية.

- قال له: أو أعطيت فقراء المدينة مثل ما أعطيتني؟

- قال: لا، هذه لك وحدك.

- فقال له: أين بعيرك؟ خذ حملك هذا وارجع به لعتبة، وقل له: عمر يقول لك اتق الله، وأشبع المسلمين مما تشبع منه.

وفي قول آخر أنه قال له: وزع هذه الحلوى على فقراء المدينة، وحرأئ على بطن عمر أن يذوق طعاماً لا يطعمه فقراء المسلمين.

طبعاً كان يجمع من حين لآخر أهله وأقرباءه المقربين إليه، أهل خاصته يقول: "إني قد نهيت الناس عن كذا وكذا، وأمرتهم بكذا وكذا، والناس كالطير إن رأوكم وقعتم وقعوا، وإيم الله لأوتين بواحدٍ وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني"، فصارت القرابة من عمر مصيبة، كل إنسان قريب من سيدنا عمر سيحاسب مرتين، يضاعف لها العذاب ضعفين، هؤلاء الأشخاص الذين بحكم

أعمالهم، بحكم مراتبهم الاجتماعية يحتلون مركز الصدارة هؤلاء، يعاقبون ضعفين، ويثابون مرتين، مرةً على أعمالهم الطيبة، ومرةً لمن اقتدى بهم، فإذا أساؤوا يعاقبون مرتين، مرةً لأنهم أساؤوا، ومرةً لأنهم كانوا قدوة سيئةً لغيرهم، هذه دخل فيها الأب، دخل فيها المعلم، دخل فيها مدير المعمل، دخل فيها رئيس الدائرة، دخل فيها كل إنسان، لو كان له ولاية على عشرة أشخاص، صار هذا له عذاب الضعف. مع أن سيدنا عمر كان إماماً في الورع والزهد، لكنه يعاتب ولده عبد الله بن عمر عتاباً فيه العجب العجيب، فمرة سيدنا عمر رأى ابنه يستروح نعمةً متواضعةً من نعم الحياة، يعني يأكل لحماً، هذا ذنبه الوحيد، دخل يوماً دار ابنه عبد الله، فراه يأكل شرائح اللحم، فغضب وقال: ألا نك ابن أمير المؤمنين تأكل لحماً والناس في خصاصة، ألا خبزاً وملحاً، ألا خبزاً وزيتاً، والناس في خصاصة؟ ذات مرة خرج في جولة تفتيشية في السوق، فرأى إبلاً سماناً تمتاز عن بقية الإبل بنموها وامتلائها، فقال:

- إبل من هذه؟

- فقالوا: هي إبل عبد الله بن عمر، لابنك هذه.

وانتفض أمير المؤمنين كأنما القيامة قامت وقال:

- عبد الله بن عمر؟ بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين. طول بالك الله يعينك، وأرسل في طلبه من فوره، وأقبل عبد الله يسعى، وحين وقف بين يدي والده، أخذ عمر يقتل سبلة شاربه، وتلك كانت عادته إذا أهمه أمرٌ خطير وقال لابنه:

- ما هذه الإبل يا عبد الله؟

- فأجاب: إنها إبلٌ أمضاء - يعني هزيلة - اشتريتها بمالي، وبعثت بها إلى الحمى - أي إلى المرعى - أتاجر فيها، وأبتغي ما يبتغي المسلمون. مثلي مثل كل الناس.

- فعقّب عمر في تهكمٍ لاذع: ويقول الناس حين يرونها ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، وهكذا تسمن إبلك يا ابن أمير المؤمنين - أنت عرفت لماذا سمينة إبلك هذه؟ لأنك ابني - ويربو ربحك يا ابن أمير المؤمنين - وتربح بهذه الطريقة، يطعمونها ويسقونها وتسمن، وتبيعها وتربح لأنك ابن أمير المؤمنين، قال له: يا عبد الله بن عمر خذ رأسمالك الذي دفعته في هذه الإبل، واجعل الربح في بيت مال المسلمين.

آخر لقطة من سيرة سيدنا عمر رضي الله عنه، يصل إلى المدينة يوماً بعض أموال الأقاليم فتذهب إليه ابنته حفصة رضي الله عنها لتأخذ نصيبها، وتقول له مداعبةً:

- يا أمير المؤمنين حق أقاربك في هذا المال، فقد أوصى الله بالأقربين، ما لنا شيء نحن؟

- فيجيبها جاداً: يا بنية، حق أقاربي في مالي، أما هذا فمال المسلمين، قومي إلى بيتك، اذهبي.  
سيدنا عمر من علمه هذا؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام، مرة قال النبي لأحب الناس إليه، لابنته فاطمة، قال مرة:

**((فاطمة بضعة مني من أحبها فقد أحبني ومن أبغضها فقد أبغضني))**

( من الجامع الصغير: عن " عن المسور " )

ولما ولدت، حملها وضمها وشمها وقال:

**((ريحانة أشمها وعلى الله رزقها))**

ولم يكن في الناس مخلوق أحب إليه من فاطمة، قالت: يا أبت، طلبت منه شيئاً من المال، فقال:

**((لا يا فاطمة إن في المسلمين من هم أحوج منك لهذا المال))**

ثم يجرمها ويعطي سواها.

إن شاء الله في درسٍ قادم نتابع الحديث عن هذا الخليفة العظيم.